

أضواء البيان

@ 257 يشرك بالله ، إنما هو في حق من مات على ذلك الإشراك ، ولم يتب منه قبل حضور الموت . أما من تاب من شركه قبل حضور الموت ، فإن الله يغفر له ، لأن الإسلام يجب ما قبله . . .

والآيات الدالة على ذلك متعددة كقوله : { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنْتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ } وقوله : { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } إلى قوله : { إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } وقوله في الذين : { قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا مِنْهُ إِلَٰهٌ إِلَٰهٌ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُواْ عَمَّا يُقُولُونَ لَيُعَذِّبُنَّ } { وَالَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ أَعَذَابُ آلِيمٍ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُواْ لَهُ } { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } وقوله : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا } إلى غير ذلك من الآيات . وأما إن كانت توبته من شركه عند حضور الموت ، فإنها لا تنفعه . . .

وقد دلت على ذلك آيات من كتاب الله كقوله تعالى : { وَلَئِيسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبِيتُ الْإِسْلَامَ وَلَا وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ } فقد دلت الآية على التسوية بين الموت على الكفر والتوبة منه ، عند حضور الموت وكقوله تعالى : { فَلَا مَسَّ لِرَءَاوِيَ بَأْأَسَدًا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا نَا بِيَمَا كُنَّا بِيهِ مُشْرِكِينَ فَلَا مَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْأَسَدًا } وكقوله في فرعون : { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ءَأَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَدِيلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } وقرأ هذا الحرف نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء أصله فتخطفه الطير بتاءين فحذفت إحداهما وقرأه غيره من السبعة فتخطفه الطير بإسكان الخاء وتخفيف الطاء مضارع خطفه بالكسر . . .

7 ! . ! 7

قوله تعالى : { ذَٰلِكَ وَمَن يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى

الْقُلُوبِ } . قد ذكرنا قريباً أنا ذكرنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن من أنواع
البيان التي تضمنها أن يذكر لفظ عام ، ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك
العام فيه ، فيكون ذلك الفرد قطعي الدخول لا يمكن إخراجه بمخصص ، وواعدنا بذكر بعض
أمثله في هذه الآيات . ومرادنا بذلك هذه الآية الكريمة لأن قوله تعالى : { ذَالِكَ وَمَنْ
يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ } عام في جميع شعائر الله ، وقد نص تعالى على أن البدن فرد

من